ملخص البحث

يتناول البحث " فكرة الجوهر فى الفكر الفلسفى اليونانى ـــ دراسة مقارنة " الحديث عن فكرة الجوهر لما لها من أهمية كبيرة ، فقد شغلت اهتمام العديد من المفكرين والفلاسفة على مر عصور الفكر منذ القديم وحتى عصرنا الحديث .

وقد اختلف مفهوم فكرة الجوهر باختلاف العصور والفلاسفة ، فعند فلاسفة ما قبل سقراط ـــ وهم ما يطلق عليهم اسم " الفلاسفة الطبيعيين " نجدهم قد ربطوا بين الله والطبيعة ، فقد تصوروا أن الطبيعة هى الله والله هو الطبيعة وهو ما يعرف باسم " مذهب وحدة الوجود " ، فالله أو الطبيعة هو الكل وهو الجوهر ، ولهذا نجدهم قد بحثوا عن هذا الجوهر ومثلوه فى أمور طبيعية . فمثلاً " طاليس" قد اعتبر أن هذا الجوهر هو الماء واعتبره الجوهر الأول الذى تصدر عنه جميع الأشياء .

أما " انكسيماندريس" فقد رأى إن الماء لا يصلح أن يكون جوهراً للأشياء وإنما المادة الأولى وجوهر الأشياء هو الابيرون اللامتناهى . أما "أنكسيمانس" وهو ثالث فلاسفة مالطية فإن الجوهر الأول عنده واحد لا نهائى محدد الكيف ، إنه الهواء ومنه نشأت جميع الأشياء الموجودة ، نظراً لما للهواء من أهمية لا غنى عنها لكل كائن حى ، كما أنه يحوى العالم كله .

أما " الفيثاغورية " فقد اختلفت فى تفكيرها عن الجوهر عن الفلاسفة السابقين ، ولهذا يمكن أن تعد أول محاولة للارتفاع عن المادة التى وقف عندها فلاسفة أيونيا ، وحاولت فهم العالم بقوانين واضحة نظراً لاهتمامها بالرياضة والموسيقى ، ولهذا آمنت بأن الأعداد هى جواهر الأشياء نظراً

لوجود نظام وانسجام بين الأشياء يرجع فى الأصل إلى وجود الأعداد التى تنظم العلاقات أو النسب بين الأشياء وتحقق الانسجام بينهم .

ثم جاء بارمنيدس ورفض النظريات البسيطة السابقة عليه عن الجوهر الأول ، ورأى أن هذا الجوهر الأول لابد وأن يكون إلها وتكون مهمته هى حفظ النظام العام للعالم الذى يمثل جوهره الصفة الأساسية والإيجابية الوحيدة وهى صفة الوجود ، حيث ميز بارمنيدس بين الوجود واللاوجود ورأى أن الشىء الوحيد الذى يمكن التفكير فيه هو الوجود ، أما اللاوجود فلا يمكن التفكير فيه لأنه غير موجود .

وهذا الوجود أو الجوهر الأول للأشياء غير محسوس ويمكن الوصول إليه بالعقل فقط . وبهذا تنشأ لأول مرة التفرقة بين الحس والعقل ويبرز دور العقل وأهميته فى المعرفة .

والجوهر الأول أو أصل الأشياء عند " انكساجوراس" هو البذور الصغيرة التى عنها تظهر الموجودات أو تختفى بالامتزاج والانفصال . وهذه البذور تجتمع فى كل جسم بمقادير مختلفة وتتحدد تبعا لهذا الاختلاف نوع كل جسم ، ومن هنا ينشأ الاختلاف بين الأشياء .

وهذه البذور الصغيرة عند انكساجوراس والتى يتكون منها العالم لا يدركها الحس إلا إذا تراكمت على بعضها البعض ، وهى تحتوى على جميع الصفات المعروفة ـــ كالحار والبارد والجاف والرطب والحلو والمر وغيرها ـــ وهى أيضاً متشابهة حيث إن كلا منها تحتوى على نسبة من الصفات تختلف عن نسبة هذه الصفات نفسها فى بذرة أخرى ـــ ففى كل شىء جزء من كل شىء آخر .

ثم جاء " أمبادوقليس " الذى اعتبر أن الضدين ـــ الحار والبارد ـــ جوهرين للكون ، وإن كان يتحدث عن جواهر أو عناصر أربعة هى : النار والهواء والماء والتراب ، إلا أنه يعتبرهما جوهرين فقط هما الحار والبارد .

فالحار يشمل النار والبارد يشمل الهواء والماء والتراب . وقد أطلق على هذه العناصر اسم الجذور أو العناصر ، وهى الماء والهواء والنار والتراب . وهذه المبادئ الأربعة على السواء لا يخرج بعضها عن بعض ولا يقود بعضها البعض وتتكون الأشياء بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقادير مختلفة . وتجتمع هذه العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين هما المحبة والكراهية .

وبعد أمبادوقليس يأتى " الذريون" ـــ لوقيبوس وديموقريطس ـــ اللذين قالا بالذرات لا متناهية العدد والتى تتحرك فى الفراغ أو الخلاء اللانهائى فتسبب بوقوعها على بعضها البعض ظهور الأشياء وتسبب بانفصالها عن بعضها البعض فسادها .

أما " هيراقليطس " فقد لاحظ أن كل شىء يتغير باستمرار ولكن بحسب قانون ثابت لا يتغير ـــ هو اللوغوس ـــ وهذا اللوغوس هو جوهر الأشياء ويتمثل فى النار الإلهية التى اعتبرها المبدأ الأول أو الجوهر الأول الذى تصدر عنه الأشياء فى العالم .

هذا عن فلاسفة ما قبل سقراط ، أما سقراط فقد اختلف عن هؤلاء الفلاسفة الطبيعيين السابقين عليه ، فلم يتخذ الطبيعة جوهرا للأشياء لأنه اعتقد أن عالم الطبيعة من صنع الآلهة وحدها ، لهذا اعتبر أن الجوهر الأول هو إله هذا الكون ، وهذا الإله هو زيوس الذى وضعه اليونانيون فوق مرتبة سائر الآلهة الأخرى واعتبر أن بقية الآلهة هم أدوات يستعين بها فى صنع الوجود .

ثم جاء " أفلاطون " ـــ وكان تلميذا لسقراط ـــ واعتبر أن الجواهر هى كليات متعينة ، هى مثل عقلية موجودة بالفعل فى عالم المثل ، وهذه المثل أو الجواهر بمثابة الآلهة عند أفلاطون ، وهذه الجواهر ثابتة غير متغيرة وقديمة أزلية وأبدية ، وفوق هذه الآلهة يوجد الإله الأعلى أو الصانع الذى يخلق الأشياء بتأمله للصور العليا العديدة .

ويرتبط بنظرية المثل عند أفلاطون نظرية النفس لما لها من صلة قوية بنظرية المثل حيث اعتبر أن النفس هى نقطة اتصال بين عالمين هما عالم المثل وعالم الجسد أو الحس الذى تحاول الخلاص منه ، باعتبار أنها جوهر روحى فى حقيقة الأمر ، لهذا فهى تسعى للتحرر من سجن البدن حتى تعود إلى عالمها الأول .

وقد اختلف أرسطو عن أفلاطون ـــ فى هذا الشأن ، حقاً إن العلم عند أرسطو ينطبق على التصورات ـــ فالعلم معرفة يقينية بما هو عام وكلى ـــ غير أن أرسطو يتجه اتجاهاً مبايناً لاتجاه أفلاطون ، فنحن نصل إلى الكلى عن طريق الجزئى ، والعام فى نظر أرسطو لا وجود له عن طريق الخاص . وبهذا يكون أرسطو قد أنزل جوهر أفلاطون ـــــ وهو المثال الأفلاطونى ـــ من السماء إلى الأرض وهبط به من عالم المثل ووضعه فى الأشياء الجزئية ، فالمثال الأفلاطونى هو فى نظر أرسطو المعنى الكلى الذى تشترك فيه عدة موضوعات جزئية.

ولهذا اختلف مفهوم الجوهر عند أرسطو عنه عند أفلاطون . فجوهر أرسطو هو فى المحل الأول المركب من الهيولى والصورة معاً ـــــ وهو الفرد المحسوس ـــ وإن الوجود الحقيقى يكون للصورة ، أما المادة فهى عند أرسطو تكون بمثابة الأساس الذى يصير شيئاً ما والذى يحدث عليه التغير ، أما الصورة فهى الصفات التى تحدث التغير فى المادة حين تدخل عليها . وحين تتلقى المادة صورتها ، فإن صورة الشىء تكون هى حقيقته .

كما يقول أرسطو بتعدد قوى النفس فى الإنسان النباتية والحيوانية والعاقلة ، وإن العقل أو النفس الناطقة يكون فى مبدأ أمره قوة صرفة ، وإن العقل الفعال هو الذى يخرج العقل بالقوة ليكون عقلاً بالفعل ، وقد أضفى أرسطو على هذا العقل الفعال نفس الصفات التى أضفاها على ما يمكن أن نطلق عليه تجوزاً اسم الله أو المحرك الأول عنده .

وقد وضع أرسطو الجوهر الإلهى على قمة الوجود الذى هو جوهـــرا محركا ثابتا فهو صورة خالصة وفعل محض . وهذا المحـــرك الأول يحـــرك العالم دون أن يتحرك ، فالأشياء أو المادة تتحرك بأن تعشق هـــذا المعشـــوق الأول فتحدث فيها الحركة ، وبالتالى يحدث الكون وبقية أنـــواع الحركـــات . وهذا المحرك الأول أو الله لا يمكن أن يكون متناهيا ، وهو أزلى ثابت يحـــرك العالم دون أن يتحرك .

وبهذا يكون أرسطو قد اختلف عن أفلاطون فى مفهوم الجوهر عند كلا منهما .

أما " الرواقية " فإن الجوهر الأول عندهم هو العقل المطلق أو الله وهـو ماديا ـــــ كما تصوروه ـــــ مبثوثا خلال العالم كله محركا كـــل جـــزء مـــن أجزائه ، واعتناقهم لنظرية وحدة الوجود التى تجعل الله والعالم شيئا واحدا .

أما " الأبيقورية " فإن الآلهة عندهم تعيش لنفسها وحسب فـــى مجـــال خارج الكون . وتتمثل فكرة الجوهر عندهم فى الذرات ، ولا تختلف الذرة عن الأخرى إلا فى الشكل والمقدار والثقل ، وعن طريق هذا الاختلاف وبتجمـــع الذرات المختلفة بعضها مع بعض تتكون الأجسام ، وتتحرك هذه الذرات إلـــى أسفل باستمرار .

ويضم هذا البحث مقدمة وخاتمة وخمسة فصول :

الفصل الأول : مفهوم الجوهر عند الفلاسفة السابقين على سقراط .

١ ـــــ طاليس .

٢ ـــــ انكسيماندريس .

٣ ـــــ انكسيمانس .

٤ ـــــ المدرسة الفيثاغورية .

٥ ـــــ هيراقليطس .

٦ ـــــ بارمنيدس .

٧ ـــــ اكسينوفان .

الفصل الثانى : مفهوم الذرات كجوهر عند الفلاسفة السابقين على سقراط

١ ـــــ امبادوقليس .

٢ ـــــ المدرسة الذرية : " ديموقريطس" و " لوقيبوس" .

٣ ـــــ انكساجوراس .

الفصل الثالث: مفهوم الجوهر عند كلاً من سقراط وأفلاطون .

١ ـــــ الجوهر عند سقراط .

٢ ـــــ الجوهر عند أفلاطون .

الفصل الرابع : مفهوم الجوهر عند أرسطو .

الفصل الخامس: مفهوم الجوهر عند كلاً من الرواقية والأبيقورية .

١ ـــــ الجوهر عند الرواقية .

٢ ـــــ الجوهر عند الأبيقورية .